الموسم

بحث تاريخي في رسائل إخوان الصفا وعقائد الإسماعيلية فيها[١]

الدكتور حسين الهمداني اليعبري

-١-

المقدمة

نشرت المكتبة التجارية الكبرى في سنة ١٩٢٨م مطبوعة رسائل إخوان الصفا التي عنى بتصحيحها السيد خير الدين الزركلي، واطلعت على مافيها من مقدمتين نفيستين. مقدمة تحليلية للأستاذ الدكتور طه حسين، والأخرى تاريخية للأستاذ أحمد زكي باشا. ونشرت مجلة المجمع العلمي العربي (بدمشق الشام ١٩٢٨م) مقالة علمية للأستاذ السيد محمد كرد علي في شأن رسائل إخوان الصفا. وأرسل إليّ الأستاذ السيد عبد اللطيف الطيباوي من القدس هدية رسالته النفيسة المسماة «جماعة إخوان الصفا» (طبعت مرة ثانية عن مجلة «الكلية» التي تصدر عن الجامعة الأميركية في بيروت ١٩٣٠ــ٣١م). واستفدت كثيراً من هذه المباحث العلمية فاليوم أريد أن أذكر طرفاً مما تعيّن وتحقق عند هؤلاء الأساتذة المحققين في أمر الرسائل لكيما نعرف النتائج التي استنبطوها بعد درس الرسائل، وأذكر شيئاً قليلاً مما وجدته في كتب الدعوة الإسماعيلية المصونة في خزائن الدعوة باليمن والهند، ثم شواهد خارجية وداخلية بأن الرسائل لابد لها من صلة بينها وبين الحركة الاسماعيلية. فأقول:

إن العلماء المتقدمين والمتأخرين قد اختلفوا في أمر تأليف رسائل إخوان الصفا اختلافات عديدة: من ألّف هذه الرسائل وأين ومتى ألفت هذه الرسائل. ولم يأتوا فيها بقول فصل، بل ذهبوا فيها كل مذهب. وأظهروا في مباحثهم آراء متباينة وأفكار متضادة ولهذا رأيت أن أذكر في كلمات موجزة مايغني عن الإسهاب والتطويل.

-٢-

رأي أبي حيّان التوحيدي

قيل إن جماعة من علماء البصرة ألفوا رسائل إخوان الصفا في أواسط القرن الرابع بعد الهجرة النبوية. وأول من قال بهذا الرأي هو أبو حيّان التوحيدي في كتابه «الإمتاع والمؤانسة»

(١) هذه الرسالة قدمها الكاتب إلى إدارة المعارف الإسلامية بلا هور (بنجاب الهند) يوم الأحد السادس عشر من إبريل ١٩٣٣ ونشرتها الإدارة في مجموعة المقالات «روئداد إدارة معارف إسلامية» إجلاس أول لاهور ١٩٣٣. والكاتب من أصل يمني/ هندي الجنسية، عمل كملحق ثقافي للهند في القاهرة. توفي سنة ١٩٦٢. وكان من الاسماعيلية البهرة. وله فضل كبير في التعريف بالدعوة الإسماعيلية وقد نشر الكثير من البحوث والدراسات الخاصة بها.

(راجع مقدمة أحمد زكي باشا ص٣٠). ثم أورد جمال الدين أبو الحسن القفطي المصري المتوفى سنة٦٤٦هـ في كتابه «تراجم الحكماء» كلاماً طويلا ضمنه ذكر الحديث الذي جرى في سنة ٣٧٣هـ - ٩٨٣م بين أبي حيان وبين وزير لصمصام الدولة. فاستخلص منه أن زيد بن رفاعة أقام بالبصرة وصادف بها جماعة منهم أبو سليمان محمد بن معشر البستي المعروف بالمقدسي وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبو أحمد المهرجاني والعوفي وغيرهم، واجتمعوا على تأليف الرسائل. وقال القفطي: «إن هؤلاء جماعة اجتمعوا على تصنيف كتاب في أنواع الحكمة الأولى». ثم قال:

«ولما كتم مصنفوهم أسماءها، اختلف الناس في الذي وضعها. فكل قوم قالوا قولا بطريق الحدس والتخمين. فقوم قالوا: هي من كلام بعض الأئمة من نسل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. واختلفوا في اسم الإمام الواضع لها اختلافا لايثبت له حقيقة. وقال آخرون: هي تصنيف بعض متكلمي المعتزلة في العصر الأول والغريب أن القفطي اعترف بوجود الناس الذين قالوا أن الرسائل من كلام بعض الأئمة العلويين، واعترف بوجود الناس مذاهب أخرى في أمر الرسائل مع هذا أنه يستند ويعتمد على كلام أبي حيان».

وقال الأستاذ أحمد زكي باشا (ص٣٤) في شأن الجماعة: «وعلى ذلك يكون مؤلفها ممن نحوا نحو الإسماعيلية وذهبوا مذاهبهم، وقالوا بمقالاتهم.... وقد أعملت الجهد الجهيد في تطلب ترجمتهم، ومعرفة أخبارهم وشؤونهم... فلم يسعفني القدر ببلوغ الوطر إلخ». ولكن الأستاذ لا يرى في إطناب أبي حيان في مدح زيد بن رفاعة الا «دلالة ضمنية على فائق فضلهم وواسع علمهم».

وهكذا استنبط الأستاذ السيد عبد اللطيف الطيباوي نتيجة توافق ماتوصل إليها الأساتذة قبله حيث يقول: «وإذاً فتاريخ نشوء الجماعة وتأليف رسائلها يتراوح ما بين سنتي ٣٣٤هـ و٣٧٣هـ. هذا ماتوصلنا إليه في تحقيق زمان الجماعة. . . . فالبصرة إذاً مركز الجماعة وفيها قامت مؤسستهم على رأي القفطي (من حديث أبي حيان). ولسنا على حق في الاعتراف بصحة هذه القضية كحقيقة تامة. فلا شاهد آخر إزاء القفطي مستقلا عنه يذكر هذا الأمر. وقد تحاشى الإخوان ذكر اسم البلدة التي كتبوا فيها رسائلهم كما هي العادة كما تحاشوا ذكر التاريخ».

ألا يصحّ لنا أن نقول «على طريق الحدس والتخمين». لابعين العلم واليقين إن هذه الجماعة - إن صحّ لنا وجودها - كان مذهبهم ومسلكهم مصطبغا بصبغة المذهب الإسماعيلي ولكننا لانعرف أخبار هذه الجمعية السرية حق المعرفة.

-٣-

ماذا يقول المجريطي

وقيل إن مسلمة المجريطي المتوفى سنة ٣٩٨هـ ألف رسائل إخوان الصفا. عزيت الرسائل إليه اعتمادا على ماجاء في كتاب «رتبة الحكيم». وليس كتاب «رتبة الحكيم» بتأليف الحكيم المجريطي، بل هو منسوب إليه فقد أثبت العلماء مؤخرا أن هذا الكتاب ألفه أحد غير المجريطي لانعرف اسمه في قرن بعد وفاة المجريطي ولكننا لانبحث ههنا أمر الاختلاف في تأليف كتاب «رتبة

الحكيم» بل نرى ماذا يقول صاحب الكتاب في أمر الرسائل:

«وقد قدمنا من التأليف في العلوم الرياضية والأسرار الفلسفية رسائل استوعبناها فيها استيعابا لم يتقدمنا فيها أحد من عصرنا البتة وقد شاعت هذه الرسائل فيهم وظهرت إليهم فتنافسوا في النظر إليها، وحضوا أهل زمانهم عليها. ولا يعلم من ألف ولاأين ألف غير الحذاق منهم لما دأبوا على مطالعتها لاستحسانهم إياها واستعذابهم لألفاظها. أنها من تأليف زمانهم وعصرهم الذي هم فيه ولايعلمون من ألفها إلخ»

فهل يوجد في العبارة المتقدم ذكرها أن المجريطي[٢] أو غير المجريطي ألف الرسائل؟ بل يذكر صاحب الكتاب أن أبناء زمانه لايعلمون «من ألف ولا أين ألف غير الحذاق منهم». ثم يصرح أن الرسائل من الشرق إلى الغرب لأن المجريطي أو تلميذه الكرماني أو صاحب كتاب «رتبة الحكيم» كان أول من أدخل الرسائل إلى الأندلس (راجع P.de Gayangos, The history of the Muhammodan Dynasties in Saain, 1427-29)

وقد قال الأستاذ أحمد زكي باشا: «فالظاهر أنهم لما أطلعوا عليه (أي على كتاب رتبة الحكيم) قالوا إن الرسائل التي يذكرها إنما هي المعروفة برسائل إخوان الصفا وهو وهم»

وقال المحبي المتوفى سنة١٠٦٤م في ترجمة البهائي: إن هذا سئل عن مؤلف رسائل إخوان الصفا فكتب: «أنا الفقير رأيتها منسوبة للمجريطي وما تحققت من هو وما أخباره». ثم قال:

«رأيت ابن المكي ذكر في فتاويه وقد سئل عن صاحب رسائل رسائل إخوان الصفا وترجمته وماحال كتابه. فأجاب بقوله: نسبها كثير أجاب بقوله: نسبها كثير إلى جعفر الصادق وهو باطل وإنما الصواب أن مؤلفها مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي... وممن ذكره ابن بشكوال وغيره -وكتابه فيه أشياء حكيمة وفلسفية وشرعية. وممن شدد عليه ابن تيمية لكنه يفرط في كلامه فلا تغتر بجميع مايقوله». (راجع خلاصة الأثر، ج٤ ص٧٠٦)

فما أورد العلماء الذين ذكرهم المحبي دليلا واضحا على انتساب الرسائل إلى المجريطي بل تناقضوا في مقالاتهم أشد تناقض.

وأما ماذكره صاحب «كشف الظنون» أن المجريطي ألف كتاباً يسمى «رسائل إخوان الصفا». أوله: «الحمد لله الذي خلق فسوى إلخ» فمفيد لنا لأنه أشار إلى كتاب غير الرسائل المتداولة بين الناس حيث قال: «وهو نسخة مغايرة على إخوان الصفا».

فالذي أشار إليه صاحب «كشف الظنون» هو الرسالة الجامعة.

---

(٢) يرى صديقي الدكتور بانيت (Dr.Baneth) بان مؤلف رتبة الحكيم، لا يريد الا المجريطي في العبارة المتقدم ذكرها: Es scheint mir kein Zweifet, dass der Vevfasser der, رتبة الحكيم, den Magriti als Autor der رسائل, von denen er spricht, an- gesehen wissen sollte. Naturlich hat das Zeugnis dieses apokrypen Autors gar keinen Wert, er wollte damit nur seinen den Stil der Ikhwan nachahmen den Buechern groessere Autoritatet venleihen (من مكتوبه المؤرخ في القدس في ١٤ مارس ١٩٣٣).

-٤-
الرسالة الجامعة

وكان ظن العلماء إلى أواخر القرن الأخير أن رسالة الجامعة المذكورة في الرسائل الإحدى والخمسين المتداولة بين الناس مفقودة غير موجودة عندنا. ولكن المستشرق الفرنسيسي كزانوفا (Casanova) وجد نسخة منها مفقودة الصفحات الأولى في المكتبة الأهلية بباريس، ثم نشر مقالة في هذه الرسالة. وأخذ العلماء يدرسون الرسائل من وجهة أخرى. و «اتجه الفكر مؤخراً إلى الاعتقاد بوجود صلة بين فلسفة إخوان الصفا من جهة وعقائد الاسماعيلية من جهة أخرى» (الطيباوي ص٧١) هذا ماتوصل إليه كزانوفا بعد درس الرسالة (Notice sur un manuscript la de secte de Assassitahis Journal Asiatique., 1898, p151 seq)

«لا أراني إلا مصيباً في القول إن فلسفة الاسماعيلية جميعها مثبوتة في رسائل اخوان الصفا. فالقول بالامام المستور الذي سوف يظهر ليعيد السلام إلى العالم. - هذا القول عندهم يمثل امتزاج النظريات الأفلاطونية بالاعتقاد بالمجئ الثاني للمسيح. . . وعليه فمن الجور في الحكم أن يرمي القرامطة والحشاشون بالكفر والانحطاط الأخلاقي كما جاء في فتوى ابن تيمية الذي يزعم القسم الأخير من (البلاغ الأكبر) إنكار لوجود الخالق. إذ لم نجد في الرسالة الجامعة التي هي لبّ الرسائل وروحها مايدعم هذا الزعم، بل على الضد من ذلك نجد في تعاليمهم الطاهرة والمثلية المتقمصة بنزعات الشمول الدائنة بالجمال، البعيدة كل البعد عن نزعات الشك والمادية إلخ. (هذا ماذكر في ترجمة السيد عبد اللطيف الطيباوي).

وأيضاً توجد مخطوطات هذه الرسالة في مكتبة ميونيخ ألمانيا (Aumer No653) وفي دار الكتب المصرية ومكتبة الأستاذ المرحوم أحمد تيمور باشا[٣] في مصر وكلها منسوبة إلى المجريطي. وأما النسخ المصونة في خزائن الدعوة اليمنية فتسمى باسم «الجامعة» أولها- «الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي أخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى إلخ» كما جاء به صاحب «كشف الظنون». وكانت الدعوة الاسماعيلية اليمنية تهتم برسالة الجامعة منذ أواخر الدولة الصليحية في اليمن اهتماماً بليغاً. وكانت هذه الرسالة معروفة باسم «الجامعة» عند أولى الدعوة من القرن السادس بعد الهجرة. ولا ينسبونها إلى الحكيم المجريطي أو إلى غيره، بل يحسبون أنها من أجزاء الرسائل. وذكر الداعي ابراهيم بن الحسين الحامدي المتوفى سنة ٥٥٧هـ اسم الجامعة غير مرة في كتابه المسمى «كنز الولد» وهو يقول: « قال الشخص الفاضل الكامل صاحب الرسائل»، ثم ينقل عبارات كثيرة من الرسالة الجامعة. وهذه الشواهد تدل أن هذه الرسالة موجودة غير مفقودة.

---

(٣) تفضل على حضرة الباشا الأستاذ العلامة المخلد الأثر أحمد تيمور بمخطوطة هذه الرسالة للمطالعة والدرس أيام إقامتي في مصر.

-٥-
الرسائل ورأي علماء أوروبا

وأيضاً يجب علينا أن نعترف بفضل علماء أوروبا لأنهم درسوا الرسائل بالإمعان ونشروا أبحاثهم العلمية التاريخية في تآليفهم وأثبتوا صلة بين تعاليم الرسائل وعقائد الاسماعيلية. وكان الاستاذ كازانوفا زعيم القائلين بهذا الرأي وأول من اعتنى بدرس الرسالة الجامعة ولكن جماعة من المستشرقين تقدموا إلى القول بأن الرسائل مصطبغة بالصبغة الاسماعيلية. ووصلني مؤخراً كتاب من الأستاذ دبور (Deboer) صاحب كتاب «تاريخ الفلسفة في الإسلام» وفيه يقول:

كان أوغسطس ميولر (Augt. Mueller) أول من قال بأن الرسائل ألفت قبل تآليف رسائل الكندي والفارابي ولكن غولد زيهير (Goldziher) كان يعرف الصلات بين الرسائل وبين الحركة الاسماعيلية.وقد أيدته في نظريته فلذلك ذكرت زمن الرسائل والرازي في كتابي المؤلف في سنة١٩٠٦م قبل الكندي والفارابي الذين يجمعان في تآليفهما الافلاطونية الحديثة والارسطاليسية. وكان العلماء يزعمون قبل سنة١٩٠٠م أن تآليف الرسائل كان بين زمني الفارابي وابن سينا. والآن أنتم أيدتمونا وأغنيتمونا في آرائنا ونظرياتنا بالشواهد العربية (من مكتوبه المؤرخ في لاهاي في ٢١ من يناير ١٩٣٣م).

وأما ما ذكره الدكتور ماسينون (Massignon, Der Islam iv,p324, 1913) من الأبيات الواردة في الرسائل فيفيدنا لتقرير تاريخ الرسائل ونرجو أن يتوجه العلماء في المستقبل إلى تحقيق أسماء ناظمي الأبيات. ولامحيص لمن يريد أن يدرس الرسائل وتاريخها عن مباحث لفلوغل[٤] وديتريصي[٥] وغولد زيهير[٦] ودبور[٧] ونيكسون[٨] وغيرهم من العلماء المحققين المستشرقين.

-٦-
كتب الدعوة الإسماعيلية اليمنية

فأريد الآن أن ألفت أنظاركم إلى استنباط الدعوة الإسماعيلية (وسينشر في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية(Ras) بلندن بحثي التاريخي في كتب الدعوة المستورة[٩] وهي محفوظة

---

(4) Fenegel. Ueber die Inhalt und Verfasser der arabischen Encyclopaedie R. Ikhwan as- safa, Zdmg, XIII 1839.

(5) Dietereci Die Philosophie der Araber im 10 Jahrhundert nach Christ, Erster Theil, Einleitung und Makrokosmos, Leipzig, 1876,PP. 131-137.

(6) Goldziher, Ueber die Bennenung der إخوان الصفا der Islam, Bd. I, Hamburg 1910.

(7) De Boer, Wigsbegeerte in den Islam, Amsterdam 1921.

(8) Nicholson, Aliterary History of the Arabs, London, 1923.

(9) Some Unknown Ismaili Authors and their works, JRAS, April, 1933.

إلى يومنا هذا في خزائن كتب الدعوة باليمن والهند). وهذه الأبحاث كانت مستورة إلى هذا الأوان ولكن الظروف والقضايا الاتفاقية ساعدت محققي أوروبا بحصول بعض كتب الدعوة وذكر جريفيني[١٠] وماسينيون[١١] وتريتون[١٢] عن بعض هذه الكتب[١٣] المصونة في متاحف أوروبا. وهي مهمة جدا لأنها تحتوي على أمور تاريخية ومفيدة للذين يريدون أن يدرسوا تاريخ العقائد والفلسفة في الإسلام. ومنها كتب للمؤلفين المتقدمين الكبار ماكنا نعرف إلا أسماء بعضهم مثل كتب الفيلسوف أبي يعقوب السجزي والشيخ أبي حاتم الرازي والقاضي النعمان والحكيم أحمد حميد الكرماني والداعي المؤيد في الدين الشيرازي وغيرهم. ولو استقصينا ذكر هؤلاء المؤلفين وتآليفهم لخرج بنا الكلام عن حيز هذه الرسالة. فنذكر هذه الآداب لأنها تغنينا في درس هذه الرسائل وبلغت الحركة الإسماعيلية إلى أوجها العلمي الأدبي.

-٧-

الرسائل وذكر الدعوة الإسماعيلية

وانتقلت كتب الدعوة الإسماعيلية الفاطمية المصرية في أيام خلافة المستنصر بالله والمستعلي لدين الله والآمر بأحكام الله، ثم بعد انقراض الدولة الفاطمية في مصر إلى اليمن لأن الصلات كانت موجودة بين الأئمة الفاطميين في مصر والسلاطين الصليحيين في اليمن. ثم اتخذت الدعوة اليمنية تدرس الرسائل، وحيث مابلغه علمي أن أول من ذكر الرسائل والرسالة الجامعة في تاريخ آداب الدعوة الاسماعيلية هو الداعي ابراهيم بن الحسين الحامدي المتوفى سنة٥٥٧هـ. ثم لم يقع نظري إلى اليوم في تآليف الدعاة الذين كانوا في أيام الخلفاء الفاطميين على ذكر الرسائل. ولكن الدعاة اليمنيون أكثروا من مباحثهم في الرسائل وأمنعوا في مطالعتهم إياها وتآليف الدعاة المتقدمين. فصارت الرسائل عندهم «قرآن الإمامة» ويحترمونها كما يحترمون «قرآن الأمة» كما قال الشيخ إبراهيم السيفي المتوفي سنة ١٢٣٦هـ في كتابه المسمى «تحفة رسائل الإخوان الذي هو شرح الرسائل الأربعة الرياضية من القسم الأول من رسائل إخوان الصفا»: «وسمعت بعض العلماء يقول إن رسائل إخوان الصفا هي القرآن بعد القرآن وهي قرآن العلم كما أن القرآن قرآن الوحي وهي قرآن الإمامة وذلك قرآن النبوة».

وهم يعتقدون بأن الرسائل ألفها «الإمام الهمام قطب الأقطاب مولانا أحمد المستور ابن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق» في أيام الخليفة المأمون العباسي كما صرح

---

(10) Griffini, ZDMC., LXIX.

(11) Mossignon, Esquise d'une bibliograhie Qarmate, volume of the oriental studies, Gibb series, 1922.

(12) Tritton, Nottes on some Ismaili Mss, BSOS., voL VII.

(١٣) ونشر المستشرق ايفانوف (Ivanow) كتابا مستقلا في مخطوطات الإسماعيلية A Guide to Ismaili Literature بلندن ١٩٣٣.

به ونص عليه إدريس عماد الدين المتوفى سنة ٨٧٢هـ-١٤٦٧م في كتابيه «عيون الأخبار[١٤]» و«زهرالمعاني[١٥]» وهاهنا نورد بيان الداعي ادريس في أمر الرسائل حيث قال في الجلد الرابع من كتاب «عيون الأخبار» (ص٢٢٩):

«وقام الإمام التقي أحمد بن عبد الله بن اسماعيل بعد أبيه بأمر الإمامة وبث دعاته في الآفاق من سلمية واتصل به الدعاة ودعوا إليه وهم مخفون لمقامه كاتمون لأسمه... وكان المأمون حين احتال على علي بن موسى الرضى بن جعفر ظن أن أمر الله قد انقطع وحجته عن الأرض قد ارتفعت... فحين ظن المأمون العباسي... ذلك الظن ووهم ذلك الوهم سعى في تبديل شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وتغييرها وأن يرد الناس إلى الفلسفة وعلم اليونانيين. . . وخشي الإمام ع م أن يميل الناس إلى مازخرف المأمون عن شريعة جده... فألف رسائل إخوان الصفا

(ثم ذكر مؤلف كتاب عيون الأخبار بعد هذا فهرست الرسائل على التمام)

فهذه فهرسة الرسائل التي ألفها الإمام ع م جمع فيها أنواع العلوم الفلسفية والهندسية والشرعية. . وجعل الجامعة هي منها الغاية التي يتبين فيها المراد. ويتضح المعنى للمرتاد، وقصرها على خلصاء شيعته وخبرة خاصته.... وإنما ألف الإمام أحمد. . . . تلك الرسائل،.... لتقوم الحجة على المأمون وأتباعه... حين انحرفوا عن علم أهل النبوة، وآثروا الفلسفة. ثم إن الإمام أمر أن تبث تلك الرسائل في المساجد. . . . فحين وقع الناس عليها رفعت إلى المأمون... فعلم أنه لم يصنع شيئا، وأن مارامه من قطع حبل الإمامة لايكون.

ثم إنه اتصل به أحد دعاة الإمام... وسأله عن شيء من غامض العلم ليدله عليه فأنبأه بذلك بما أمكن أن يبينه... فباء بذنبه معلناً وللإصرار مبطناً وقال: ليتني أجد خلف الرسول، فأبوء إليه بإثمي... وأدفع إليه ملكي... فاغتر ذلك الداعي بقوله ووعده ليدله على الإمام بعد أن أخذ عليه في ذلك أكيد المواثيق...

وهاجر ذلك الداعي إلى حضرة إمامه ع م. وعرفه بما دار بينه وبين العباسي من الكلام،... فعرفه الإمام ع م أن ذلك الجبار لايوفى محلفه. . . فأبى ذلك الداعي إلا التمادي في مطالبة الإمام،. . . وكرر على الإمام ذلك المقال، قال له: «اذهب وعرفه أنك الإمام،.. وأنك إنما سترت عنه ذلك تقية وامتحاناً... وأعلم أنه في كل ذلك يمكر بك وأنه سوف يبين رأسك عن جسدك» فودعه

---

(١٤) راجع تقريظ المولوي الشيخ محمد علي الرامبوري المدراسي في مطبوعة بومبائي ١٣٠٦هـ ص٤٠٩. وأيضا أتى صاحب الرسالة المسماة «العسل المصفى» المطبوعة ببومبائي ١٩٢٨م الشيخ عبد المحي عرب الحويزي ببيان إدريس وكتابه «عيون الأخبار» وقال السيد الحويزي أن ما أورده في هذه الرسالة من بيان إدريس وكتابه «العيون» وغيرها من الأمور فهو رأى سيدنا الداعي ومولانا ظاهر سيف الدين (رئيس الفرقة الإسماعيلية الداؤدية) وتفضل على حضرة السيد غلام حسين (مأذون الدعوة الإسماعيلية السليمانية ورئيس الجماعة بالهند) بالجواب أنه يرى بأن الرسائل ألفها أربعة من الدعاة تحت إدارة إمام من الأئمة العلويين وأن هذا الرأي مبني على بيان أحد المؤرخين المعتبرين من الدعاة. فنرجو من سيدي المحترم أن يهتم بنشر هذا الامر التاريخي الهام من كتبه المصونة في خزائن الدعوة خدمة للعمل والتاريخ.

(١٥) راجع مقالتي التي نشرتها مجلة «المعرفة» (مصر ديسمبر ١٩٣١) ص٩٨٤.

الداعي، ورجع إلى المأمون... فأظهر المأمون البشر لقدومه... ثم خلا لهما المجلس، قال... فهات إلى عنوان الخبر، وعرفني بالإمام من أبناء إسماعيل بن جعفر، فأعاد إليه الداعي مؤكدات الإيمان. . . فحين أعطاه من المواثيق ماطلب. . . قال له ذلك الداعي «إني أنا الإمام. . . وإنما كتمت عنك لخوف سطوتك»... وقد كان سمع من علمه مادلّه أن ذلك لايوجد إلا في معدن النبوة والإمامة فحين ظن المأمون أن المخاطب له هو الإمام، دعا سيّافه، وأمره أن يضرب عنقه بالحسام، فقال: «صدق صلى الله عليه لقد نبأني أنك من الظالمين» فعلم المأمون عند ذلك أنه لم يقع على مراده، فقتل ذلك الداعي. . . وكان الداعي يكنى الترمذي قس[١٦].

وقد قال بعض المتأخرين... إن الرسائل ليست لأحد الأئمة المستورين، واحتج: ببيت سطر في الرسائل وهو من قول. . . المتنبي

وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبه ولكن مافي الجسم منه خراب

«وهذه الرسائل ألفها الإمام المذكور أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر صلى الله عليه وسلم بغير شك... ولا أن هذا البيت أورده بعض الناسخين من المتأخرين».

وقد وجدنا في العبارة المتقدمة بياناً يختلف عن البيان المؤلف في كتابه الآخر «زهر المعاني» في بعض التفاصيل مع أنه لايريد إلا انتساب تأليف الرسائل إلى إمام مستور من العلويين فبين ادريس في «العيون» أن على بن موسى الرضا قتله المأمون قبل ظهور الرسائل وفي «زهر المعاني» على خلاف ذلك قال أن علي بن موسى الرضا وصل إلى المأمون بعد ظهور الرسائل[١٧].

فمن أين أخذ ادريس هذا البيان وما مصادره لنظريته الجديدة؟ أظن أن الداعي ادريس لعله استنتج روايته من المصادر الآتية التي وجدت في كتب الدعوة:

(١) قال الداعي شرف الدين جعفر بن محمد بن حمزة (المتوفى سنة ٨٣٤ هـ) في رسالته «الموقظة»:

«.... حتى همّ المتسمي بالمأمون أن يرد الأمة إلى دين الفلسفة والقول بالنجوم وقال ماجاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا بناموس ملك به الناس وحقيقة وأساس حتى أظهروا ولي الله وابن الرسول الله رسائل إخوان الصفا فيها ماتحير به جميع العالم من العلوم في كل فن لاستشهاد على شريعة الرسول... وهو صلى الله عليه وآله وسلم إذ ذلك في كهف التقية مستقر. ودعاته الباقون مفرقون لتلك الرسائل في كل مشهد وقطر، فرجع اللعين عما همّ به من ذلك ...»

---

(١٦) «وكان الداعي من أرض القدس» (مخطوط زهر المعاني ص١٥٦).

(١٧) «وسبب ذلك (أي تأليف الرسائل) أن المأمون جمع المنجمين وأنفق الأموال الجمة لعمل الزيج الذي باسمه وولاة الأمر مكتومون داخلون في كهف التقية وظن المأمون.. أن الفاطميين نفذوا ما بقي للشريعة من يقيم دعائمها.. فلما علم ولي الحق ذلك صنف الرسائل وأظهر فيها ما أظهر من علوم الفلسفة.. فعند ذلك علم المأمون أن ولي الأمر منكم وأن الأرض لا تخلو من حجة فرجع عن ما نواه.. ووكل للفاطميين في فدك والعوالي... وأمر بالنداء في البلدان من كان من نسل فاطمة فليصل إلى المأمون... فوصل إليه جماعة من الفاطميين وكان في من وصل إليه علي بن موسى الرضى...» (مخطوط زهر المعاني ص١٥٦-١٥٧).

(٢) ثم قال الداعي علي بن محمد الوليد الأنف المتوفى سنة ٦١٢هـ -١٢١٦م في كتاب «دامغ الباطل» (ج٢،ص٤٧-٤٩):

«ليس بجحد الجاحدين للحق يبطل ويستحيل، ولا بإجماع أهل الباطل عليه يعلو على الحق ويستطيل، وعلوم هذا الإمام وآباءه الكرام عليه أفضل التحية والسلام فيجميع الفنون الدينية... جايلة في الأفاق بين الأهل الدعوة الهادية، كاشف نورها لظلم الاختلاف الحادث بين الفرق الإسلامية وغير الإسلامية، وليس إذا ضعف بصر الخفاش عن نور الشمس يبطل، ولا إذ جحد جاحد المشاهد يجوز جحدانه عند أهل العقول ويقبل،... وقد كان من أحد الهدى سلام الله عليهم، إظهار جل العلوم، المحتوية على كل فن جامع للفوائد في باديها والمكتوم، في الرسائل التي فرقها في الجهات، وعمر بها سائر المدارس والإجتماعات، حين رام المأمون العباسي نسخ الشريعة بإحياء علم النجوم والتطريف والتعطيل للملة الإسلامية فلم يمكنه أن يبلغ من ذلك مايروم، بل جعلوا تلك الرسائل جامعة من كل فن من العلم لجمله وتفاصيله... فحين لمع برهان تلك التآليفات لكافة أهل العراق وسطع شعاع حقها في سائر الأفاق، انكفى المسمى بالمأمون عما رامه راجعاً ، وأعمل فكره وصرف همه إلى منشئ ذلك ظاناً أن يظفر به فيكون بقتله إياه سبب الحق منقطعاً ويستتب له اغتصاب أهل بيت النبوة الذي فيه كدح وإسلافه وسعا، فأظهر التشيع متظاهراً به وتسارب إليه من الفاطميين من اغتر بتمذهبه فأفنى منهم نفراً، ولم يظفر بالشخص الأشرف الامامي ولاأدرك منه وطراً...»

(٣) وقال القاضي النعمان (المتوفى سنة ٣٦٣هـ -٩٧٣م) في كتاب «شرح الأخبار»:

«وقيل إنه وقع إلى المأمون رجل من الشيعة، فكاسره، فقامت حجة عليه وانقطع المأمون وأراه القبول لما جاء به وجعل يستبحثه عن إمام الزمان عندهم، فأومى له إلى علي بن موسى بن محمد، فرأى أنه قد ظفر ببغيته، ودبر أمراً، وأراد الحيلة فيه أن يظهر ويدعو إليه، ثم يعمل في قتله، ولم يطلع أحداً من الناس على باطن مراده في ذلك أن لايفشوا عنه».

(٤) ثم قال الداعي جعفر بن منصور اليمن، باب الأثواب في دعوة المعز بالله الفاطمي في كتاب «سرائر النطقاء»:

«ثم وجدنا الفرق التي بعد هؤلاء اجتمعت على ولده أحمد بن موسى وهو المسمى بعلي الرضي، الذي نصبه المأمون، وجعله ولي عهده، والإمام بعده،... ولم يشك أحد من العلويين والشيعة أن الأمر منصرف إليه بعد المأمون،... وذلك أن المأمون جمع الفقهاء والعلماء من سائر البلدان، وناظرهم في الفدك والعوالي. حتى ردها على ولد فاطمة ع م بعد إقامة الحجة عليه، كل ذلك حيلة على صاحب الأمر، فلم يجد إلى ذلك سبيلاً لستره نفسه على الظهور قبل أوانه واختفائه عن أعدائه وانتظار الفرج في حينه وأوانه... واتصل خبره برجل كان منصرفاً في الشام من قبل ولي الزمان وكان دار هجرته بيت المقدس، وكاتب صاحب الجزيرة بالتوجه إليه فسار نحوه

باذلاً نفسه ابتغاء مرضاة الله... وسار الرجل حتى دخل إليه وبذل نفسه وجاهد في الله حق جهاده. فكان من خطاب المأمون له في وقت دخوله إليه فلما أفلح بالحجة عليه قال أرجو أن تكون الحجة الخفية المطلوبة، والنعمة الواسعة الموهوبة، وباب الرحمة الموجودة، فتحك الله لي. فقال له أما الحجة المطلوبة، فلا يجاب رحمة فتحت لك فيهم، فاسمع استماع من يخشى الصمم، وتثبت تثبت من يخاف الزلل، ولقد جرى بينهما مايطول شرحه إن تقصيناه ويخرج عن حد الكتاب حتى أنه بسط إليه يداً كانت عن الحق مقبوضة. وفي الجور مبسوطة، وأنعم عليه، وعرفه بمولاه، وأفاض عليه من نوره وهداه، فساواه في مجلسه، فشرح له ماجرت له في السنة الماضية، وتركه على حاله إلى أوان الظهور، وتمام المقدور بالوقت المعلوم، والأجل المحتوم، وأقام معه مدة طويلة، بذل له في خلواته، ويبذل نفسه في مرضاته ولم يزل يطارحه شيئاً بعد شيء، حتى استكمل رضاعه، واكتفى بما أخذه منه، ورآه الرجل قد قوي أمره، وحسن مذهبه. وانصرف عما كان عليه، فعند ذلك عرفه بحال المنصوب، ومايكون منه، وودّعه وسار... فلما لم يجد عند علي بن موسى شيئاً من الحق المطلوب،... وعلم أن حكمة الله مستورة عن أعداء الدين، والجالسين مجالس الأئمة المهديين، ومذخورة في أوليائه إلى أوان الظهور، فعند ذلك قلب الرأي في أمره، وأنه رآه خالياً مما طلبه فيه، وغير مستحق لما أهله له... فعند ذلك قتله.

فنرى أن الداعي علي بن محمد الوليد المتوفى سنة٦١٣هـ- ١٢١٦م جد إدريس و «والد الجميع» كان أول من قال بهذا الرأي في كتابه المسمى «دامغ الباطل» ثم أخذه إدريس وصرح به في كتابيه «عيون الأخبار» و«زهر المعاني». ومخطوطات هذه الكتب موجودة محفوظة في خزائن الدعوة غير معروفة إلا عند أرباب الدعوة. وكان ناشر مطبوعة بومبائي يتدين بدين الإسماعيلية وكان عالماً بكتب الدعوة وحاوياً لعلومها وتاريخها فأورد رأي إدريس- لا لنيل احتكار اختلقه كما زعم الأستاذ أحمد زكي باشا- لأنه وجد هذا البيان في كتاب «عيون الأخبار» وأما ماقاله علي بن محمد بن الوليد وإدريس عماد الدين في أمر الرسائل فيجب علينا أن ندرس قولهما الجديد كما درسنا آراء مختلفة ونظريات متباينة عديدة. ولاغرو أن هذا الرأي يفيدنا في درس مسألة الصلة بين الرسائل فأي شيء يمنعنا ان ندرس هذه النظرية؟ وقد بذلت الجهد الجهيد في حل هذه المسألة العويصة ولكنني لم أتحصل على شواهد تاريخية وبينات علمية التي تؤيد وتصدق هذه النظرية.

فلذلك ما أتيت برأي ههنا وفي مقالتي:

Rasail ikhwan as-safa in the literature of the Ismaili Dawat, der Islam BdXX Heft4

ألا يعرف العالم العلمي ماذا تعتقد الإسماعيلية في أمر الرسائل. وما أتيت بهذا البحث إلا لكيما يرى الطالب اعتقاد الإسماعيلية ونقطة نظرهم في أمر الرسائل لعل هذه النقطة تفيدنا في درس الرسائل وفي حلّ بعض معضلاتها إذا درسناها من الوجهة العلمية التاريخية.

-٨-
فلسفة الرسائل وعقائد الإسماعيلية
دعوة الرسائل إلى علوم أهل البيت
معرفة الحدود وحقيقة الجنة

وتدل هذه الشواهد الخارجية على أن الرسائل لابد لها من صلة بين فلسفتها وعقائد الإسماعيلية. وهذه نتيجة توصلنا إليها بعد درس الرسائل نفسها. فالأن أذكر طرفاً من مذهب الرسائل وفلسفتها التي تؤيد رأينا هذا. فمنها دعوى إخوان الصفا أن الرسائل تتضمن علوم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما جاء في الرسائل:

«وأعلم ياأخي بأنا قد عملنا إحدى وخمسين رسالة[١٨] في فنون الآداب وغرائب العوم وطرائف الحكم كل واحدة منها شبه المدخل والمقدمات والأنموذج لكيما إذا نظر لها إخواننا وسمع قراءتها أهل شيعتنا وفهموا بعض معانيها وعرفوا حقيقة ماهو مقرون بها من تفضيل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم خزان علم الله ووارثوا علم النبوات تبين لهم تصديق مايعتقدون فيهم من العلم والمعرفة إلخ» (ج٤ ص٢٢٢).

فمن أراد أن يدخل مدينة العلم وجنة الدين فليأت الباب كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنا مدينة العلم وعلى بابها. ومن أراد أن يستفيد من هذه العلوم فيجب عليه أولاً معرفة الباب وهي معرفة الحدود ومن عرف حدود الدين فقد دخل الجنة- جنة الدعوة والدين الاختياري إذ لاإكراه فيه (ج٤ ص٤٠٦).

-٩-
ولاية علي بن أبي طالب
النطقاء والاختلاف في شرائعهم والدين دين الإسلام
دعوة الرسائل إلى الإمام مستور

تقيم الرسائل دعوة إلى محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وولاية علي بن أبي طالب وهذه المحبة والولاية هي «العماد» الذي تشير الرسائل إليه و«يجمع الإخوان حرمة الأدب والخروج من جملة العوام» (ج٤ ص٢٢٩).

وأما القول بالنطقاء والإختلاف في شرائعهم ووضائعهم والدين دين واحد ففلسفة هذا الإختلاف والإيتلاف مشبعة في كتب الدعوة الإسماعيلية. ودليل ذلك في الرسائل قولها هذا «إن

---

(١٨) ذكر السيد الطيباوي أمر الاختلاف في عدد الرسائل في كتاب «جماعة إخوان الصفا» (ص٣٦-٣٧). والظريف ما جاء به ادريس عماد الدين في «زهر المعاني» حيث قال «فقام الإمام أحمد بن عبد الله صلوات الله عليه بأمر الله ووحيه وهو الثاني من الخلفاء وحجته عبد الله بن ميمون وأحمد بن عبد الله ممثول النطفة في دورهم مقابل لنوح ثاني النطقاء ولجدد الحسين بن علي ثاني الائتماء. فنشر العلوم ظاهرا وباطناً. وصف الرسائل وجعلها على العلوم الأربعة... ثم جعلها ثلاثة وخمسين رسالة شاهدة له ودالة عليه لان اسمه بحساب الجمل ثلاثة وخمسون الخ».

الأنبياء عليهم السلام لايختلفون فيما يعتقدون من الدين سراً وعلانيةً ولا في شيء منه ألبتة كما قال تعالى: ﴿أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾.. ﴿ولكلٍ جعلنا منكم شرعةً ومن منهاجاً﴾. وأما النواميس والسنن والشرائع فهم فيها مختلفون كما جاء في الرسائل:

«....فهكذا شرائع الأنبياء واختلاف سننهم بحسب كل زمان وما يليق بهم أمة أمة وقرناً قرناً، مثل شريعة نوح عليه السلام في زمانه، وشرعة ابراهيم عليه السلام بعده في زمن آخر وقوم آخرين، وشريعة موسى عليه السلام في زمن آخر وقوم آخرين، وشرعة المسيح عليه السلام بعده في زمن آخر وقوم آخرين، وشريعة سيد الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام والتحية والرضوان في زمن آخر وقوم آخرين كما قال تعالى:« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك». فهؤلاء كلهم دينهم واحد وإن كانت شرائعهم مختلفة (ج٤ ص٦١-٦٢) وأما دين الإسلام فلم يتغير منذ خلقت السموات والأرض ولن يتغير إلى يوم القيامة كما جاء في القرآن :«إن الدين عند الله الإسلام» ولكن الشرائع الأولى قد نسخت وبُدّلت بالأخرى الجديدة لأن معنى النسخ الشريعة تبديلها بالشريعة الجديدة. ما ينسخ ناطق من شريعة إلا يأتي بخير منها. وليس النسخ بإبطال ما يأتي به الإمام الأول بل هو تجديد شريعة السابق

وإن «الإمام» هو مركز دعوة الرسائل وهو الذي تدعو إليه الرسائل من أولها إلى آخرها. «وإذا اجتمعت خصال النبوة في واحد من البشر في دور من أدوار القرانات في وقت من الزمان، فإن ذلك الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان والإمام للناس مادام حياً» (ج٤ ص١٠٧) والشخص (ج٤ ص١٧١).

ولاتوجد رسالة من الرسائل إلا في خطبتها «الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. آلله خير أما يشركون». والمعنى في كلمة «العباد» في القرآن عند الإسماعيلية الأئمة من ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

-١٠-

دور الكشف ودور الستر
القوة الأمامية الملكية وازاءها القوة الإبليسية

والإمام هو خليفة الله وبه صلاح العالم وربما كان ظاهراً بالعيان موجوداً في دور الكشف وربما كان مستوراً في دور الستر من تصاريف الزمان ونوائب الحدثان. وأما القول بأن الإمام المنتظر لا يظهر من خوف المخالفين فمن الآراء الفاسدة والاعتقادات المؤلمة (ج٤ ص٨٧)، لايكون مفقود الوجود بل يعرفه أولياءه. لايخلو زمان من الإمام لأنه «حجة الله على خلقه وهو تعالى لا يرفع حجته ولا يقطع الحبل الممدود بينه وبين عباده.» (ج٤ ص٣٥٤) إن الأئمة هم أوتاد الأرض وهم الخلفاء بالحقيقة في الدورين جميعاً. ففي دور الكشف يظهر ملكهم في الأجسام والأرواح. وفي دور الستر يجري أمرهم في الأنفس والعقول (ج٤ ص٣٥٤) ويكون الإمام مستتراً في «كهف

التقية» وهو «كهف أبينا آدم» مدة من الزمن ولا يكون ظاهراً للعيان موجوداً للمكان حتى جاء وقت الميعاد. (ج٤ ص١٠٧)

وفي دور الستر يكون فعل إبليس إزاء القوة الإمامية أقوى ما يكون لأن الإمام يكون مختفياً مستوراً «وإن كانت أنواره تضيء في نفوس العارفين به». قد صرحت الرسالة الجامعة ما كان مرموزاً في الرسائل حيث جاء في الرسالة:- «إن إبليس كان بالحقيقة شخصاً من بقايا أشخاص آخر دور الكشف الأول ممن كان قد لحق بعد شرائطه ووقف على شيء من معلوماته فلذلك قيل: إنه كان من الجن وإنه فسق عن أمر ربه.... فلما جهل أهل دور الستر إلى أن يسجد للذي هو أول خليفة قام به بأمر الله تعالى وأراد إبليس أن يكون هو القائم بذلك الأمر فأخلف الله ظنه وجعله تابعاً لامتبوعاً. فلما استكبر أبى وفسق... وخدع آدم وغره وعارضه بمذاكرة علم دور الكشف وما فيه من الفوائد العقلية الباقية الخالدة إلخ». فإذا بهذا البرهان أن إبليس كان شخصاً من دور الكشف تكبر عن قبول رياسة آدم دور الستر. وكذلك الآبالسة والشياطين أجمع هم أشخاص موجودون في كل دور من الأدوار إزاء الأئمة (وهم الملائكة المعصومون) يخالفونهم ويضادونهم بقدر قوة صاحب الزمان حتى يكون زوال دور الستر. فعند ذلك يذبح إبليس ولا يبقى من ذريته أحد، ويكون العالم سعادة كله ويكون الدين كله لله. وكذلك رموز الدين وأسرار العلوم ومعرفة قائم القيامة محجوبة عن أضداد الأئمة الذين هم الآبالسة في كل عصر من العصور ودور من الأدوار إلا عند إخوان الصفا وخلان الوفا لأنهم ذرية آدم بالحقيقة كما جاء في الرسائل:- «اعلم ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن علم البعث وحقيقة القيامة محجوبان عن إبليس وذريته وأتباعه وجنوده من شياطين الإنس والجن وهو سر الله الأعظم لا يطلع عليه أحد من خلقه إلا من ارتضى من أولياءه وأصفياءه وأهل مودته من ذرية آدم ومن ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم و اسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً» إلخ (ج٣ ص٨٤) فهذه حقيقة الدورين -دور الكشف ودور الستر. ولها مرتبة عظيمة في فلسفة الإسماعيلية.

-١١-

فلسفة العقول والأعداد
معنى الشر والخطيئة. معنى الأعياد عند الإخوان
ومزج الفلسفة بالدين

وأما فلسفة العقول وفلسفة الأعداد فمن أهم عقائد الإسماعيلية. وهذه الفلسفة التي اتخذوها من الفلاطونية الحديثة والفيثاغورية الحديثة مبثوثة في جميع الرسائل. ومنها أن «العقل» هو اسم مشترك يقال على معنيين أحدهما ما تشير به الفلاسفة إلى أنه أول مبدع أبدعه الباري المبدع. والمعنى الأخير مايشير به جمهور الناس إلى أنه قوة من قوى النفس الإنسانية. والنفس الانسانية هي قوة من قوى النفس الكلية. والنفس الكلية هي فيض فاض من العقل

الكلي الذي هو أول فيض فاض من الباري (ج٣ ص٣٧). فلا توجد في الرسائل والرسالة الجامعة ذكر العقول العشرة التي أوردها الفارابي وبصورة أخرى معاصرة الداعي أحمد حميد الدين الكرماني في كتابه «راحة العقل»[١٩]. ولكن الرسالة الجامعة تذكر أمر الخطيئة الأولى وتقاطر الرتب في العالم الروحاني اللطيف كما جاء في الرسالة: «فقد بان بالبرهان وصحّ أن الشر لا أصل له في الإبداع. وسمي عجز الأشياء بحدوث بعضها عن بعض شر بمعنى التخلف عن اللحوق بدرجة الفاضل المتقدم عليه، ومتى غفل المفضول عن اللحوق بدرجة الأخس الأرذل فهو الشر المحض البعيد عن الخير إلخ». فهذه الشواهد أوردتها لكي نعلم أن فلسفة الرسائل هي عين المذهب الإسماعيلي وهي تؤيد رأي العلماء الذين قالوا بأن الرسائل لابد لها من صلة بين فلسفتها وبين مذهب الإسماعيلية.

ولاتقيم الرسائل دعوى لإمام مستور في «كهف التقية» في كل موضع بصراحة القول. بل تشير إلى الإمام وأمر الإمامة بعبارة غامضة فلسفية علمية. وقد أوردت الرسائل ذكر الأيام الأربعة التي اتخذها الفلاسفة أعيادا، ثم قابلتها بأعياد الشريعة الإسلامية لأنها وجدتها موافقة لها. وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنّ لأمته في شريعته ثلاثة أعياد. فالأول منها عيد الفطر، وهو أعظم فرح يكون بخروج الناس من شدة الصوم إلى الفطر كفرح أهل الأرض بقدوم الربيع. والثاني منها عيد الأضحى، وهو يوم تعب ونصر يوافق للعيد الثاني الفلسفي. ثم اليوم الثالث من الأعياد الشرعية هو يوم انصرافه من حجة الوداع بغدير خم «وفرحه ممزوج لأنه خالط ذلك بنكث وغدر موافقا للعيد الثالث الفلسفي المتقلب فيه الزمان من الصيف إلى الخريف». والعيد الرابع من السنة الشرعية هو يوم الحزن والكآبة فهو يوم وفاة النبي وعيد له غير أنه مشوب بمصاب أمته.... كما حزنوا أهل بيت النبوة لما فقدوا سيدهم وغاب عنهم واحدهم وتخطفوا من بعده وتفرق شملهم وطمع عدوهم واغتصب حقهم وتبددوا. ثم ختم ذلك بيوم كربلاء وقتل من قتل من الشهداء ماافتضح الإسلام ومن قبله ماآنال أحق الناس بما قاسى أولاهم بالأمر من بعده. ثم من بعد غيبة صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله وسلم قتل من بعده من أجلة أصحابه المساعدين له في إقامة الناموس معه مثل صديقه وفاروقه وذي النورين وما تواتر على أهله وأقاربه من المصائب. فصار ذلك سببا لاختفاء إخوان الصفا وانقطاع دولة خلان الوفا إلى أن يأذن الله بقيام أولهم وثانيهم وثالثهم في الأوقات التي ينبغي لهم القيام فيها إذا برزوا من كهفهم واستيقظوا من طول نومهم. وكانت الإخوان «أحق الناس بالعبادة الشرعية... وأحق الناس أيضا بالعبادة الفلسفية والقيام بها والتجديد لما دثر منها» فإذا أكمل الإخوان ذلك كانت لهم سنة ثالثة يتميزون بها. ولهم في هذه السنة الثالثة أعياد الشريعة ولأعياد الفلسفة

(١٩) مخطوط الكتاب موجود في كتب الدعوة الإسماعيلية. راجع مقالة الدكتور بولس كراوس في مجلة «الإسلام» Der Islam من الجلد التاسع عشر والقسم الرابع (هامبورج ألمانيا) ومقالتي في مجلة الجمعية الاسيوية الملكية (JARS) بلندان ابريل سنة ١٩٣٣.

بالحقيقة ولكن بالمثل لأن أعيادهم ذاتية قائمة بذواتها تظهر الأفعال عنها وبها وفيها. «فأعيادنا أيها الأخ هي أشخاص ناطقة وأنفس فعالة تفعل بإذن باريها». فاليوم الأول من هذه السنة يظهر فيه أول القائمين منهم وهو يوم فرح واستبشار لجميع الإخوان. وفي اليوم الثاني يقوم ثانيهم إذ كان فيه «تصرم دولة أهل الجور». واليوم الثالث هو يوم قيام ثالثهم وهو يوم «مقاومة الباطل الحق وكون الأمر على خلاف ماكان عليه. وفي اليوم الرابع يرجع الإخوان إلى كهفهم كهف التقية والاستتار ويكون الأمر كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء».

وأما ما أوردناه من ذكر الأعياد فهو مهم لكونه في فصل يسمى «الفصل الجامع» من خاتمة الرسالة الثامنة من الجلد الرابع (ص٢٧٦-٧٧). وهذا الفصل من الرسائل «بمنزلة القلب من الجسد والرأس من البدن وهو نهاية الغرض بعد الوقوف على ما فيها والارتسام بجميع مارسمناه والاعتماد على ماوصفناه[٢٠]».

وفي هذا الفصل الجامع نكات فلسفية ومسائل علمية تتميز الإسماعيلية بها. وفيه أيضا إحدى مساعيهم لتوفيق الدين بالفلسفة لأن الإسماعيلية أكثر الناس في تاريخ الإسلام ممن أدخل الفلسفة والعلم في الدين. ولأجل ذلك سموهم مخالفوهم «الملاحدة» و«الزنادقة» و«الثنوية» وهكذا نسبوا الإلحاد والزندقة إلى الرسائل لمزجها المسائل العلمية والنكات الفلسفية بالعقائد الدينية. وفي هذا الفصل دليل واضح على الصلات بين فلسفة الإسماعيلية ومذهب الرسائل.

-١٢-

دعوة الرسائل إلى قلب النظام السياسي وإلى الحرية في الدين والسياسة وكأنك بالإخوان يريدون قلب النظام السياسي المسيطر على العالم الإسلامي. وكانوا يعملون في الخلوات لهذا الغرض السياسي كما استنبط الأستاذ طه حسين -وما أحسن استنباطه- حيث يقول:ـــ «كأن هؤلاء الناس إذا يعملون من وراء ستار ويؤلفون جماعة سرية. وكان قوام جماعتهم هذه فيما يظهر، سياسي وعقلي». وكانوايتوسلون إلى قلب هذا النظام السياسي «بتغيير النظام العقلي وإنشاء فلسفة جديدة تكون الحياة العقلية والعملية للفرد والجماعة تكوينا جدديدا» (طبعة مصر ص٨).

وكانوا يجتمعون لهذا الغرض ويبحثون في مجالسهم السرية عن خفيات الأمور. «فتذاكروا يوما من حوادث الأيام... ومن تغييرات شرائع الدين والملل وتنقل الملك والدول من أمة إلى أمة ومن بلد إلى بلد ومن أهل بيت إلى أهل بيت. فاجتمع رأيهم واتفقت كلمتهم على أنه لابد من كائن في العالم قريب وحادث عجيب فيه صلاح الدين والدنيا وهو تجديد ملك في

(٢٠) ولعل الانتباد في الاسم حمل الاستاذ السيد عبد اللطيف الطيباوي على القول بأن الجماعة قد أطلقوا الفصل (الفصل الجامع) على الرسالة الجامعة نفسها (ص٧٦).

المملكة وانتقال دولة من أمة إلى أمة» (ج٤ ص٢٢٥). وكانوا يعقدون بينهم عهداً وميثاقاً يتناصرون ويتعاونون ويكونون «كرجل واحد في جميع أمورهم وكنفس واحدة في جميع تدابيرهم» (ج٤ ص٢٢٣). وكانوا يريدون هدم بناء الدين القديم والمملكة القديمة وتأسيس «دولة أهل الخير يبتدي أولها من قوم علماء حكماء أخيار» (ج٤ ص١٤٤). وكانت دعوتهم إلى طلب العلوم والمعارف كلها، ولايعادون علماً من العلوم، ولايهجرون كتاباً من الكتب ولايتعصبون على مذهب من المذاهب لأن رأيهم ومذهبهم يستغرق المذاهب كلها ويجمع العوم جميعها. (ج٤ ص١٢٤) وكانت دعوتهم إلى طلب «معلم ذكي، جيد الطبع حسن الخلق، صافي الذهن، محب للعلم، طالب للحق غير متعصب لرأي من المذاهب» (ج٤ ص١٣٠) وترك الاشتغال بإصلاح «المشائخ الهرمة الذين اعتقدوا من الصبا آراء فاسدة وعادات رديئة، وأخلاقاً وحشية. فإنهم يتعبونك ثم لاينصلحون. وإن صلحوا قليلاً قليلاً فلا يفلحون» (ج٤ ص١٣١) ثم يحثون إلى طلب «الشباب، السالمي الصدور، الراغبين في الآداب، المبتدين في النظر في العلوم،... المستعملين شرائع الأنبياء عليهم السلام، الباحثين عن أسرار كتبهم التاركين الهوى والجدل، غير متعصبين على المذاهب، بأن الله مابعث نبيا إلا وهو شاب، ولاأعطى لعبد حكمة إلا وهو شاب، كما ذكرهم ومدحهم فقال عز اسمه: «إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى» وأعلم بأن كل نبي بعثه الله فأول من كذبه مشايخ قومه... كما وصفهم تعالى فقال: «ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون. وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ماضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصيمون» (ج٤ ص١٣١).

وتدل هذه الشواهد كلها على أن الإخوان كانوا يريدون تغيير النظام السياسي المسيطر على العالم الإسلامي. واستخدموا الدين الإسلامي والعلوم والفلسفة المتداولة بين الناس في هذا العصر -وكان هذا العصر «من أنضر العصور الفلسفية في الإسلام» لهذا الغرض السياسي. وأقاموا دعوتهم إلى حرية الفكر وحرية القول وحرية النفس.